مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 5 السنة: 2020
ص: 548 - 566 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

التّكْرَار مَلْمَحًا اتّسَاقِيًا فِي قَصِيدَة حَفَّارْ القُبُور لِبَدْر شَاكِر السَيَّاب
دِرَاسَة فِي ضَوْءِ لِسَانِيَات النَصّ

Repetition as a feature of consistency in the poem Haffar El Kobor "the grave digger" by Bader Shaker Al-Sayyab, a study in the light of textual linguistics

د / إيمان جربوعة *

Imane djerboua

جامعة الإخوة منتوري – قسنطينة – (الجزائر) (مخبر الدراسات التراثية)

University of the brothers Mentouri -Constantine-(Algeria)
Laboratory of Heritage Studies
imane.djerboua@umc.edu.dz

تاريخ الإرسال:2020/04/17	تاريخ القبول:2020/08/05	تاريخ النشر: 2020/12/25

مُلَخَّصُ البَحْث

نظر علماء اللغة النصيون إلى التكرار على أنه وسيلة من وسائل الاتساق المعجمي التي تحقق للنص ترابطه على مستوى البنية السطحية، كما عولج عندهم بِعَدِّهِ وجها من وجوه الإحالة إلى سابق والتي من شأنها إحداث الترابط بين الوحدات المكونة للنص، فالمتأخر يحيل إلى المتقدم فينتج الترابط بين الجملتين أو العبارتين.

وبناء على ما ورد أعلاه ينهض مشروع هذا المقال الذي يروم رصد آلية التكرار الواردة في قصيدة حفار القبور لبدر شاكر السياب، بغية استكناه مدى إسهامها في اتساق هذا الخطاب الشعري الحديث وتماسكه من جانب، واستنباط دورها في بناء الدلالة الكلية لهذا النوع من النصوص من جانب آخر.

الكلمات المفتاح : لسانيات النص، تكرار، شعر حديث، اتساق.

Abstract :
Textual linguists considered repetition as a mean of lexical consistency that achieves the interconnectedness of the text at the level of the surface structure, they treated it as a form of the referral to the previous, and this would cause the correlation between the constituent units of the text. Thus

* إيمان جربوعة. imane.djerboua@umc.edu.dz

the last is referred to the advanced to produce the interconnection between two sentences or phrases.
In the light of the foregoing, the project of this study aims to detect the repetition method featured in the poem of Haffar El Kobor "the grave digger" of Bader Shaker Al-Sayyab, in order to reveal its contribution to the consistency and coherence of this modern poetic discourse on the one hand, and to extract its role in building the overall significance of this type of texts on the other hand

Keywords: Text linguistics, Repetition , Modern poetry , Cohesion

مقدمة :

لقد ظهرت اللسانيات النصية (Textual linguistics) تجاوزا للدراسات اللسانية الجملية بمختلف توجهاتها (البنيوية، التوزيعية، والسلوكية، والوظيفية، التوليدية التحويلية..)، ولا يعني التجاوز هنا القطيعة العلمية بين تلك التوجهات واللسانيات النصية، وإنما تطور العلوم يفترض استفادة اللسانيات النصية من كل معطيات اللسانيات الجملية وتجاوز قصورها، فالجملة لم تعد كافية لكل مسائل الوصف اللغوي، من حيث الدلالة والتداول والسياق الثقافي العام .

ولعلّ من أهمّ ركائز الدرس اللسانيّ النصيّ الاتساق(Cohesion)الذي يقوم على "بناء شبكة متصلة من العلاقات في المنجز النصي؛لكونه يشد النص، ويعمد إلى ترابطه، وإبراز المحاور الهامة المبتغاة منه، فكل نص تبدو معالمه من رصد مفرداته، ومدى تعالق بعضها مع بعضها الآخر سواء بالترابط أو التداعي، وهو الأمر الذي يفرض تآزرًا ما بين المعالم المعجمية للنص وسياقه الخاص.[1] ولعلّ من أهم العمليات المساعدة على حدوث الاتساق المعجمي عنصر "التكرار" والذي سيكون محور كلامنا في هذا البحث، والذي نروم من خلاله الإجابة عن بعض الأسئلة لعل أهمها:

– كيف يتجلى التكرار في قصيدة حفار القبور لبدر شاكر السياب ؟ وما هو دوره في التماسك النصي لهذه القصيدة ؟

أولا : التكرار في الثقافة العربية :

يعدّ التكرار من محاسن العرب في كلامها ومن محاسن الأساليب، فهو ظاهرة أسلوبية عرفتها العربية في أغلب عصورها، وتناولها العلماء قديما وحديثا وتباينت نظراتهم في تناولها كل حسب اتجاهه .

وباستعراض المعنى اللغوي لمادة (ك،ر، ر) يتبين أنّ " الكَرُّ الرُجُوعُ، وكَرَّرَ الشّيْءَ وكَرَرَهُ :أعَادَهُ مَرّة بَعْدَ أُخْرَى، وَكَّرّرْتُ عَليهِ الحَدِيثَ ... رَدّدْتُهُ عَلَيهِ، والكَرُّ الرُجُوعُ عَلى الشّيْءِ، وَمِنْه التّكْرَارُ."[2]، أي أن دلالة (كَرَرَ) تدل على ترداد الشيء، وإعادته مرّة بعد أخرى . ويعرفه صاحب جمهرة اللغة(ت 933م) :" الرُجُوعُ إلى الشَّيء وإعَادَتُه مرة بعد أخرى [3]، ومن هنا نستنتج أن مدلولات مادة " التكرار" المعجمية متقاربة، مربط فرسها الرجوع والعودة .

وقد أورد العلماء العرب تعريفات متقاربة لاصطلاح التكرار نذكر منها تعريف ابن الأثير (ت 1233 م) في مثله السائر : حيث يعرّفه بقوله : " هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا"[4]. والمراد بذلك إعادة الكلمة مجددا بصورة تطابق أو تكاد تطابق الهيئة الأولى التي ذكرت فيها.

و يعرّفه الرضي في شرح الكافية : " التِّكْرَارُ ضَمُّ الشّيْء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير " [5] حيث لم يتجاوز النحويون في تناولهم للتكرار باب التوكيد فـ " العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد وهو على ضربين؛ أحدهما تكرير اللفظ بلفظه ... والثاني تكرير الأول بمعناه، وهو على ضربين أحدهما للإحاطة والهموم، والآخر للتثبيت والتمكين" [6]، فقلّما تحدث النحويون عن لطائف التكرار أو مساوئه لبعد ذلك وتنافيه عن مقاصدهم في دراسة اللغة وقواعدها.

أمّا البلاغيون فقد فصّلوا القول فيه وتعمقوا في أبعاده الدلالية، حيث ميزوا بين نوعين من التكرار؛ أحدهما يقدح في الفصاحة ويغض من طلاوتها لعدم بروز فائدة منه، والثاني لا يتم المعنى إلا به فهو مستحسن يرتضيه البلاغيون ويجيد توظيفه الشعراء [7]، فقد جعلوه طريقة من طرق تأكيد المعنى وسبيل من سبل المبالغة، ذلك أن الزيادة اللفظية في الكلام تستوجب زيادة معنوية.

وفي هذا السياق يضيف الجاحظ(ت 868م) مبينا فائدة التكرار : " إن الناس لو استغنوا عن التكرير، وكفوا مؤونة البحث والتنقير لقل اعتبارهم، ومن قلّ اعتباره قلّ علمه، ومن قلّ علمه قلّ فضله، ومن قلّ فضله كثر نقصه ..."[8]، فهو يتضمّن إمكانيّات تعبيرية بها يَغنى المعنى؛

ويتّسع؛ فيكتسب دلالات كثيرة،كما أنّ فيه جماليات فنية ينفرد بها عن كثير من الظواهر الأسلوبية.

ثانيا: التكرار (Repetition) من منظور لسانيات النص:

يولي النصّيون أهمية خاصة للتكرار إذ يعُدُّونه " شكلا من أشكال الاتساق المعجمي يتطلّب إعادة عنصر معجمي، أو ورود أو شبه مرادف أو عنصر مطلقا أو اسما عاما"[9] فالاتّساق يترتّب على وسائل "تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع، يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق هذا الترابط الرصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط " [10]، أي اعتمادا على ما يوفره معجم اللغة من إمكانات لترابط الوحدات المعجمية فيما بينها كالترادف والاحتواء والعموم.

وعدّه دي بوجراند (De Beaugrand) "إحدى البدائل التي تقدمها اللغة بغية سبك عبارات النص السطحية دون إهدار لترابط المعلومات الكائنة تحتها، ومن ثم فهو يسهم مساهمة مهمة في إيجاد الكفاءة النصية " [11] حيث جعله إحدى وسائل التماسك النصي التي تسهم في سبك عبارات النص وترابطها .

و من النصيّين من يرى أن التكرار جزء من بنية الإحالة، فالتكرار هو عملية إعادة لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص " [12] ُلتوضيح هذا يمكننا أن نمثل لذلك بالمثال الآتي: – اِغْسِلْ خَمْسَ بُرْتُقَالَات، ضَعْهَا مَعَ السُّكَر فِي إِنَاءٍ.

فالضمير (ها) في الجملة الثانية يحيل إلى (خَمْسِ بُرْتُقَالَات) وفي الجملة الأولى، كما أنه لا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى ما يحيل إليه، ومن ثم ترتبط الجملة الثانية بالأولى؛ مما يجعل من هاتين الجملتين تشكلان نصاً، أو – على أقل تقدير — جزءا من نص واحد، كما أن الضمير "ها " قام بالإحالة إلى سابق، ونرى هنا كيف قامت الإحالة بسبك الجملتين .

بينما في قولنا:

– اِغْسِلْ خَمْسَ بُرْتُقَالَات، ضَعْ البُرْتُقَالَات مَعَ السُّكَرِ فِي إِنَاءٍ عَلَى النّار.

نلاحظ هنا أنّ تكرار الوحدات المعجمية قام مقام الإحالة القبلية، فلقد تمت الإحالة هنا من سبيل تكرار لفظ (برتُقَالَات)؛ وبهذا يصبح التكرار المعجمي وسيلة من وسائل السبك.

و لدراسة التكرار من منظور الدرس النصي لا يمكن إغفال السياق والبيئة التي خلق فيها النص، إذ لا يمكن توجيه دلالات العناصر المكررة كيفما اتفق بل :" يكيف العنصر المكرر بكيفية بيئته السياقية " [13] بحيث لا يمكن عزل العناصر المكررة عن مقامها، بل يجب تسييقها ـ أي ربطها بسياقها ـ والظروف المحيطة بها .

و يقوم التكرار بعملية الوصل بين طرفي الكلام، فقد يأتي العنصر المكرّر بعد الأول مباشرة، وقد يفصل بينهما فاصل "فيقوم التكرير بالربط؛ أي الجمع بين الكلامين كما يعمل على شد انتباه السامع بإلحاح لأهمية الخطاب، أي " لفت أسماع المتلقين إلى أن لهذا الكلام أهمية لا يمكن إغفالها " [14]، كما أن موضع الألفاظ المكررة "ليس مقصورا في بداية جمل النص، لكن قد يكون في أول الجمل، وقد يكون في ثنايا الجمل، وقد يكون في آخرها " [15] فالتكرار يعتمد على ترداد اللفظ أو إعادة ذكره بنفسه أو بمعناه سواء كان هذا المعنى مصاغا في جملة أو في مفردة، ويتوزع على كافة أجزاء النص منذ البداية إلى النهاية.

وقد بيّن دريسلر(Dressler) فائدة التكرار ووظيفته في إطار لسانيات النص قائلا:" إن هذا النوع من إعادة اللفظ يعطي منتج النص القدرة على خلق صورة لغوية جديدة، لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر"[16]

فالتكرار يمنح للكاتب إبداع صور جديدة تضفي على النص جمالا ورونقا خاصا، كما يساعده على تدعيم التواصلية مع المتلقي أو القارئ بحيث يبقى على اتصال وتواصل مع فكرة النص الرئيسة أي البنية الكلية وأفكاره الجزئية.

ثالثا:التكرار وأنواعه في قصيدة حفار القبور [17] لبدر شاكر السياب من منظور لسانيات النص:

إنّ التقسيم الذي ارتضاه النصّيون هو تقسيم "هاليداي (Halliday)و رقية حسن" الذي صنّف التكرار إلى أربعة أنواع هي [18] :

1-أصناف التكرار:

أ-إعادة العنصر المعجمي : (Repetition of lexical Item) ويراد به تكرار اللفظ مع الحفاظ على المعنى، و ينقسم إلى :

أ–1 التكرار التام: (Full Recurrence)وهو تكرار مباشر للكلمات والجمل والعناصر والأنماط؛ نحو:

شَرَعْتُ فِي الصُعُودِ إِلَى القِمّة، الصُعُودُ سَهْلٌ لِلْغَايَة.

أ–2 التكرار الجزئي : (**Partial** Recurrence) وهو أن يتكرر العنصر المعجمي مع شيء من التغيير في الصيغة؛ أي أنّ اللفظة تتلاقى مع اللفظة الأولى في أصل الاشتقاق (المصدر) أو المادة المعجمية، ومثال ذلك :شَرَعْتُ فِي النُّزُولِ مِنَ الطّائِرَة، النَازِلُونَ كَثِيرُونَ جِدًا.

حيث التقت لفظة " النَازِلُونَ " مع لفظة " النُّزُولِ "في معنى "النزول" نفسه، لأنها المصدر الذي اشتقّت منه لفظة " النَازِلُونَ "، فقد تم تكرار عنصر سبق استخدامه، ولكن في أشكال وفئات مختلفة.

ب – الترادف أو شبه الترادف(Synonym or Near synonym) ويعني تكرار المعنى دون اللفظ لمرة أو أكثر من مرة ولأكثر من كلمة، الأمر الذي جعل المساحة التي يحدث فيها السبك أكثر اتساعا مثل: عام، سنة، حول.

ج– الاسم الشامل:(**Super Ordinate**)أو الأساس المشترك وهو عبارة عن اسم يحمل أساسا مشتركا بين عدة أسماء، ومن ثم يكون شاملا لها، نحو" لفظ المنزل يشمل جدران، نوافذ...

د– الكلمات العامة :(**General Words**) ويقصد بها المؤلفان هاليداي ورقية حسن " مجموعة صغيرة من الأسماء لها إحالة معممة مثل : اسم الإنسان، اسم المكان، اسم الواقع[19]، وما شابهها مثل : امرأة، رجل، ولد...

وهذه الأنواع الأربعة والتي نصّ عليها الدرس اللساني النصي؛ هي ما سنعمد إلى دراسته في قصيدة "حفّار القبور" لبدر شاكر السياب، و ننظر في مدى مساهمتها في اتّساق هذا المتن الشعري الحديث، وبما أنّ السياق يعدّ من ركائز التحليل اللساني النصي لأي خطاب؛ فحَرِيٌّ بنا أن نقف قليلا عند سياق القصيدة مدونة التطبيق، حتى يسهل علينا فيما بعد تحليل شواهد التكرار في الأبيات في سياقها المقامي الخاص:

2–سياق قصيدة:

إنّ المدوّنة الشعرية التي بين أيدينا والموسومة بـ "حفّار القبور" تعدّ من مطوّلات السياب وهي من أواخر ما كتب، تسيطر عليها أجواء درامية وملحمية، وهي قصيدة تسلط الضوء على حياة حفار القبور، بوصفها شخصية غير عادية لتعاملها مع الأجساد الميتة ولكونها شخصية غير مرغوبة وقد تكون مرعبة لكونها جزءاً من عالم الموت وطقوسه الأسطورية وارتباطها بالحزن والنواح في العقل الجمعي للناس، يصف السياب من جهة حفار القبور بأنه هذا الرجل الفقير الذي يعيش معزولا وحيدا، تحيط به أماكن مقفرة مخيفة، مما يعني أن قسوتا المكان والزمان اتحدتا عليه فجعلتا منه رجلا شديد المعاناة. ومن جهة أخرى يصور نفسه من خلاله، فهنالك ملامح وصفية عندما يفيض الشاعر بوصف أماكن وشخصيات بصورة مبالغ فيها، وفي أماكن أخرى ينكفئ الشاعر ليقدم ساردا آخر هو (حفار القبور) ذاته ويضع على لسانه ما يعاني منه الشاعر وكذلك الحفار حتى لتندمج الشخصيتان وكأنهما شخص واحد ولا نقدر أن نفرق بينهما.

ولتوضيح عناصر السياق في هذا المتن الشعري نروم فيما يأتي تطبيق نموذج جاكبسون (R .Jackobson) في التواصل على القصيدة وهو ما نبينه في المخطط أدناه:

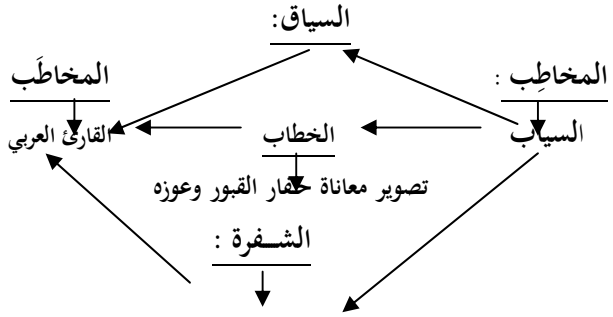

اللغة الشعرية الموحية التي لعبت دورا كبيرا في ترسيخ الوظيفة التأثيرية التي تبناها الشاعر

3-أنواع التكرار في قصيدة حفار القبور للسياب في ضوء لسانيات النص:

لا يخفى ما للتكرار من مزايا فنية عديدة سواء من حيث تأثيره في المعنى أو من حيث تأثيره في الموسيقى الشعرية، فضلا عن الدلالة النفسية التي يستطيع أن يضفيها على القصيدة إلى جانب أثره في تقوية النغم، والشاعر المعاصر لجأ إلى التكرار كوسيلة لإضفاء حيوية على القصيدة؛ فالإيقاع الذي يخلقه تكرار جرس لحروف والكلمات، يظهر القيمة الفكرية والنفسية التي يعبر عنها الشاعر من خلال تركيزه على تكرار لفظة معينة أو مقطع معين.كما أنه يساعد على تلاحم البناء وترابطه واتساقه، وتدعيم تماسكه، وهو ما نروم تقصّيه في مدونة الدراسة مستنبطين مقامها افتراضيا وواقعيا، مستحضرين مقاصد المتكلم وقراءة المتلقي:

أ ـ إعادة العنصر المعجمي: ويتجلى في القصيدة وفق نوعين :

أ ـ 1 **التكرار الكلي أو المحض**:(Full Recurrence): حفلت قصيدة " حفار القبور" بالتكرار المحض حيث يفوق استعمال هذا الفرع فيها الأربعين 40 مرة مفرقة على أجزاء المدونة الشعرية، ونمثله في الجدول الآتي:

الكلمات المكررة	عدد مرات التكرار	المواضع (رقم السطر الشعري)
القبور	23	-124-86- 71-62-47-32-27-23-17-1 – 189-182 -153-140-139 - 137-128 . 231 -220 -218 -211-199- 197
الظلام	07	.200 – 131-127-116-109-54-23
الليل	05	161 -113-69-59-6
جوع	04	.71-71-51- 99

- تشكل الوحدة المعجمية " قبور" التي واتر ظهورها أكثر من عشرين (20)مرة بؤرة دلالية في القصيدة، فلم يكتف الشاعر بدلالة " قبور " في حد ذاتها على الموت والهلاك بل جسد دلالتها بعدد تكرارها، وتتمثل قيمة التكرار في تكثيف الشعور بأهمية المعنى الذي تؤديه الوحدة المكررة، من خلال تكرار القالب اللغوي، تليها الوحدة المعجمية "ظلام" ثم "الليل" وكلها ساعد في اتساق الخطاب معجميا بناء على تشاكل الثوابت

(العناصر المكررة) وتكامل المتغيرات (ما ألحق بالعناصر المكررة). كما أحدث هذا التكرار ترابطا قويا بينه وبين السياق النفسي، فكسا الوحدة المكررة في كل سياق إشعاعا معنويا يؤكد المعنى اللازم ويطبعه في ذهن المتلقي .

ومن صور التكرار الكلي في مدونة الدراسة قول الشاعر:

فكأن ديدان القبور

فارت لتلتهم الفضاء وتشرب الضوء الغريق

وكأنما أزف النشور

فاستيقظ الموتى عطاشى يلهثون على الطريق!

لجبا يرنق بالظلام على القبور الباليات

وظلاله السوداء تزحف، كالليالي الموحشات،

بين الجنادل والصخور

وعلى القبور!...

كرر السياب في هذا المقطع لفظة " قبور "البؤرة الدلالية في المدونة –والتي فاق تكرارها العشرين 20 مرة – في سياق تصويره البارع لأجواء الموت والدفن مو الخوف من رهبة الموت ووحشة الليل والقبور، كما أن الكلمات التي كثرت فيها حروف المد الصائتة (الألف والواو والنون)، قد ساندت الإيقاع وكأنها تمد في حجم الحزن والألم، و واضح من هذه الأبيات وجود إعادة عنصر معجمي هو لفظة " القبور " كررت تكرار محضا، وواضح أيضا رجوع الثانية على الأولى لفظا ومعنى، على أنها نفسها وأنها تحيل إحالة قبلية، فبالتطابق يتم الربط بين اللاحق والسابق، بين الكلمات اللواحق والكلمات المتعلقة بالكلمة المكررة . ولم يكن التكرار هنا من ابتذال اللفظ وتوكيد المعنى يدل على ذلك تنوع البنيات التي التحمت مع اللفظة المكررة، فتنامت بذلك دلالات الخطاب وإيحاءاته التي تتمحور حول أيام حفار القبور وعيشته اليومية.

ثم إنّ الحديث عن التكرار لا يجعل من المكرر عمدة وحده دون ربطه بالنص في كليته؛ لذلك نجده تكرارا يؤثر في العنوان ودلالته ويكسب النص والخطاب انسجاما وتماسكا في بُناه لأنه الخيط الرفيع والروح الدرامية التي تحفظ تلك الخصيصات جميعا، بل ثمّة علاقة جد وطيدة بين ذلك الفعل البياني والمتلقي متفاعلا مع الرسالة.

و يمكن توضيح هذا بالمخطط الآتي :

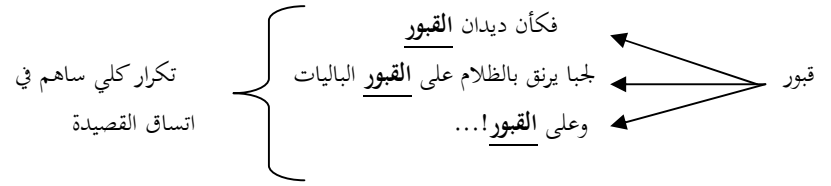

وتتكشّف لنا شخصية حفار القبور أولا بأول من خلال ثنايا القصيدة فهو يسمع عن صور الدمار التي خلفتها الحروب، ويتمنى أن يكون في مكان فيه فضاء أوسع وأجمل من الدمار والخراب، فهو الموت، وهو القبر، ومن أجل ذلك وحّد السياب بين حفار القبور والقبر، فكلاهما موجود على الأرض، وكلاهما فاغر فمه في انتظار من يملأ القبر، فليست ثمة جسد يسّد جوع القبر وجوع النفس، وهو يفصح عن ذلك بقوله:

نبئت أن القاصفات هناك ما تركت مكانا
إلا وحل به الدمار فأي سوق للقبور
حتى كأن الأرض من ذهب يضاحك حافريها
حتى كأن معاصر الدم دافقات بالخمور
أواه لو أني هناك أسد باللحم النثير
جوع القبور وجوع نفسي في بلاد ليس فيها
إلا أرامل أو عذارى غاب عنهن الرجال

يواصل السياب توظيف البنية المركزية التي تمحورت حولها القصيدة وهي الوحدة المعجمية "القبور" وفي هذا المقطع اعتمد على التشخيص عندما صور القبر وكأنه إنسان فاغر فمه يتضور جوعا بانتظار ميت، بغية إكساب الصور الشعرية المتعلقة بالمكان قيمة إيحائية وتعبيرية عن كوامن النفس البشرية العميقة، هذه النفس التي ترمز لإنسان إلى الانسان الذي" ماتت فيه كل معاني الإنسانية، فأصبح ذئبا جائعا مفترسا يمتص الدماء ويعتصر، العرق وينبش الجارح ويهتك الأعراض[20]...

وهذا ما يفسّر أن السياب وحّد بين حفار القبور وبين القبر، حيث نظر إلى المكان على أنه غير مستقل عن الشخصية، وبالتالي فالنفس تتأثر به، ويظهر ذلك التأثر في سلوكها وأفكارها

وتصرفاتها "[21] وهو بذلك يضع المتلقي دائما في حالة متابعة متواصلة ويربطه بالإطار العام لهذا المتن الشعري، وفالمدارات الأسلوبية للأبنية التكرارية تفشت في دائرة النص الكبرى لتحقق مسار الدلالة الكبرى وهي الصورة الحزن والبؤس الذي يعانيه الحفار كل يوم .

أ-2 التكرار الجزئي: (Partial Recurrence)

وذلك بأن يستخدم الجذر اللغوي استخدامات مختلفة، فتشتق من الجذر نفسه كلمات متنوعة، ونمثل له في مدونة الدراسة بالجدول الآتي:

التكرار الجزئي	المواضع (السطر الشعري)
مات، الأموات، أموت، سأموت، لم يمت أعين الموتى، موتى، منة الموتى، موتاها، ويا موتى،مات.	44-44- 45 -52-53 - 76-83-84-111-192.
ظلهن، وظلاله السوداء- الظلال السود، ظل طويل، ظلا كألوان، ظل، الأظلال، المظلل، ظل.	2-24-29-30- 135- 147- 153- 187- 192.
ضوء الأصيل، الأفق المضاء، الضوء، الضوء الضئيل، يضيئها، الضياء، ضوءا، الضوء، الضوء، من ضياء، و بالضياء .	1-15-18- 27-119- 122-124-134-145- 160-214-
الدم، دمها، الدماء، بالدماء، بالدماء، دمها، كدم، الدم، الدم، الدماء، الدم، دماي، دماه.	48-57-72-87-90-108- 115-143-145-153- 154-155-193

نلاحظ من خلال النتائج الإحصائية التي زودنا بها الجدول ورود عدد من الألفاظ بأوعية لفظية مشتقة من الصيغة الأصلية نحو (مات، الأموات، سأموت ...) و (ضوء ضياء مضاء ...) وغيرها، وهذا الرصد أوضح تناثرها على مساحات واسعة من الخطاب الشعري ول هذا حقق تلاحم الخطاب واتساقه عبر تنويع صيغ الكلمة وتلوين دلالاتها، مما أضفى على هذا النوع من التكرار إبداعية في توظيف الجذر اللغوي ولم يؤدّ إلى الرتابة المحتملة من استعمال التكرار

.وسنشرع الآن في تحليل بعض النماذج من التكرار الجزئي الوارد في مدونة التطبيق وتبيان مساهمته في اتساق القصيدة وتماسكها : يقول السياب :

..واخيبتاه! ألن أعيش بغير موت الآخرين؟

او لطيبات: من الرغيف، إلى النساء، إلى البنين

هي منة الموتى علي، فكيف أشفق بالأنام؟

فلتمطرنهم القذائف بالحديد وبالضرام

وبما تشاء من انتقام:

اتّكأ المنتج في نصه على أسلوب تكرار المعنى مع تغيير الشكل اللفظي بتوظيف مشتقات الجذر (م ا ت)، بدلا من إعادة اللفظ أو التركيب أو العنصر المعجمي نفسه، حيث وظف بدر في هذا المقطع كلا من (موت الآخرين، هي منة الموتى علي) – وغيرها في باقي مقاطع القصيدة – وهي تنسجم مع المحور العام والجو المحيط بالقصيدة جو (الحزن والألم) الذي بطله حفار القبور والذي يرمز إلى الفقر والعوز، فهو يرفض العيش مقابل أن ينال أجرة دفن الجثث،إنه يتشهى أطايب الحياة: الرغيف والنساء والبنين وهو في قاع العدم، لذلك ينقم على الناس ويتمنى المزيد من الموت والهلاك بكل الوسائل القاتلة : الحديد والنار والجذام .إن التناقض الذي يحمله بين جنبيه مأساة شديدة ناجمة عن الواقع المفروض والأمل المفقود، وهذه المفارقة تفضح إحساس حفار القبور العميق الذي لا يراه الناس، فالشاعر "عندما يكشف دخيلته بهذه المفارقة ويعري نواياه يحتاج إلى ابتكار صورة لا تولد إلا بطاقة شعرية خارقة،ومن ثمة يحدث في نفس المتلقي الإحساس بالدهشة والاستغراب"[22] . وتكرار هذه الألفاظ أسهم في الربط بين أجزاء القصيدة مما ساهم في اتساقها، فالقارئ يصادف على مدى أسطر النص الشعري مشتقات لفظ الموت مما أعان على دفع السأم والملل الناتج عن التكرار الكلي، ما أعطى النص صفة التنوع الدلالي[23]، كما عمل على شد انتباه المتلقي إلى أهمية الشيء المكرر في النص.

أما تكراره للفظة "ضوء" ومشتقاتها– الذي في العادة يحمل معاني الانفراج والحرية والأمل ـ فإننا نلمح فيه على مدى القصيدة سيطرة معاني الحزن والأسى والضيق.من ذلك قوله :

...ضوء الأصيل يغيم، كالحلم الكئيب، على القبور

واه، كما ابتسم اليتامى، أو كما بهتت شموع

في غيهب الذكرى يهوم ظلهن على دموع
والمدرج النائي تهب عليه أسراب الطيور
كالعاصفات السود، كالأشباح في بيت قديم
برزت لترعب ساكنيه من غرفة ظلماء فيه....

نلمس في هذه الأسطر صورة قاتمة تلف المقطع تشكلت من دلالة بعض المفردات والتراكيب "ضوء الأصيل،كالحلم الكئيب،على القبور، كما ابتسم اليتامى، بهتت شموع..."، والدارس لما يعزف أوتار جملة من الحروف يجدها تنسجم تماما مع الجو الحزين القاتم والكآبة النفسية الشديدة، فامتداد الكلمات بحروف المد مع جرسها الصائت يثير دلالة الحزن مثل: الأصيل، يغيم، الكئيب، القبور، واه، كما، اليتامى، شموع، دموع...إلخ.

فهذا الإيقاع الناجم من تراكم ألفاظ لها امتدادات ولها طول زمني في النغم والصوت يحمل لواعج نفس الشاعر الحزينة التي انعكست على شخصية حفار القبور وفي الأسطر الأخيرة من المقطع يكثف الشاعر من الكلمات التي تحتوي على المد بالواو، أو الألف، أو الياء.

ب –التكرار بالترادف وشبهه :

والذي يكون عن طريق استخدام كلمات لها معنى مشترك واحد، ولا يقع الترادف التام إلا نادرا بسبب تأثير السياق في توجيه الدلالة، إنما الشائع هو شبه الترادف، ذلك أن الشحنة الدلالية تختلف بين اللفظين المترادفين، وهذا الاختلاف هو الذي يسهم في استمرار المعنى، وشد ذهن المتلقي، وتعد وحدة الموضوع والتجربة الانفعالية الواحدة من أهم الفضاءات التي تحتوي الترادف أو شبهه ليعلي من شأنها ويربط بين أطرافها .و قد كثر توظيفه في مدونة التطبيق على النحو الآتي :

الترادف	المواضع
القبور – اللحود .	/62/47 /32/27/23/17/5 -32 / 137/128/124/86 169.74
الكئيب – الحزين	(169 / 118-1)

البعيد – النائي	2 /123/113/6
الضوء – النور	.151-131/18
التأوه – الأنين	143-143
الظلام – الدجى	/ 131/127/116/109/54/23 115-200
العمياء – الضريره	105-144
الطريق – الدرب	104-62/ 207

نستشف من خلال الجدول توظيف الشاعر للتكرار بالمرادف وشبهه والقائم على إعادة المفردات بصورة أو بأخرى، بكثرة في مختلف أسطر القصيدة من بدايتها إلى نهايتها مما حقق ما يسمى بالاستمرارية أي استمرارية المعنى لدى المتلقي وعدم انقطاعه، وهو يسهم في ترابط النص، فالوحدة المعجمية " قبور " وظفت في مواضع و"لحود " في مواضع أخرى، الأمر الذي ساهم في عدم شعور المتلقي بالملل والضجر الناجم عن كثرة تكرار وحدة معجمية بذاتها دون غيرها .

ومن صوره في مدونة التطبيق قول الشاعر :

بين الجنادل والصخور
وعلى القبور
وتنفس الضوء الضئيل
ثم ارتخت تلك الظلال السود وانجاب الظلام
فانجاب عن ظل طويل
يلقيه حفار القبور
كفان جامدتان أبرد من جباه الخاملين وكأن جولهما هواء كان في بعض اللحود
في مقلة جوفاء خاوية يهوم في ركود كفان قاسيتان جائعتان كالذئب السجين

في هذه الأسطر يصف السياب رجلا يعيش معزولا وحيدا، تحيط به أماكن مقفرة مخيفة، وما حوله ليس إلا صخور صماء من بقايا أنقاض دار، وطرق فارغة من كلّ شيء إلا النعيب، يخيم عليها مساء مخيف مرعب تبدو النجوم فيه كأنها أشباح، رجل ملامحه مرعبة مخيفة، له كفان جامدتان قاسيتان، ومقلة جوفاء خاوية، وفم كشق في جدار، فهو ليس إلا مقلتين

تحدقان في أرض واسعة، يحلم بلقاء نعش، مما يعني أن قسوة المكان والزمان اتحدتا على هذا الرجل، فجعلتا منه رجلا يعاني"[24]

و نلاحظ توظيف السياب في هذا المقطع للوحدة المعجمية "القبور "في السطر الثاني والسابع وصفا للحفار، بينما كرر مرادفا له في السطر الثامن وهو الوحدة المعجمية "لحود"، وهو توظيف غرضه عدم إشعار المتلقي بالملل والضجر . فالتنويع في المترادفات من شأنه أن يسهم في إحداث نوع من التغيير مع بقاء المعنى، كما نستشف من هذا المقطع أن فالشاعر لجأ إلى تكرار اللفظ نفسه أي التكرار الكلي على مسافات قريبة والتكرار بالمرادف في مسافات بعيدة، وهو ما ساعد في اتّساق هذه الأسطر وترابطها .

و بهذا يكون التكرار بالترادف قد تجاوز حدود السطر الشعري إلى النص بأكمله، فأصبح مدى الربط بعيدا مما أدى إلى التماسك بين الأبيات، وقد ارتبط هذا الترادف ببناء الفكرة الأساسية للقصيدة والتي تدور حول إلقاء الضوء على حياة حفار القبور ومعاناته اليومية وكذا تمرده . فضلا عن الأبعاد النصية والنفسية للتكرار، كما أن هناك تكرارا لبعض القوافي وهذا ما خلع على القصيدة موسيقى داخلية جمالية ثابتة في الخطاب.

ج- التكرار بالاسم الجامع أو الشامل :

هو الاسم الذي يحمل أساسا مشتركا بين مجموعة من الأسماء الأخرى، ويعد وروده في النص من عناصر اتساقه . تشير عزة شبل إلى أنه يمكن اعتبار الكلمات الشاملة من قبيل الترادف أحادي الجانب أو التضمين أحادي الجانب بمعنى أنه ترادف غير قابل للعكس "[25]

ومن أمثلته في مدونة التطبيق قول السياب:

فاستيقظ الموتى عطاشى يلهثون على الطريق
وتدفع السرب الثقيل
يطفو ويرسب في الأصيل
لجبا يرنق بالظلام على القبور الباليات
وظلاله السوداء تزحف كالليالي الموحشات
بين الجنادل والصخور
وعلى القبور

فألفاظ (الموتى، الظلام، ظلاله السوداء) يجمعها أساس واحد هو كلمة " القبور"، فهذه الوحدات المعجمية كلها تدور في فلك القبر وما يحيط به من حزن وظلام وموت، وهو بهذا في حكم التكرار حيث تكون الإحالة للكلمة الجامعة نفسها، وتؤول كل هذه الوحدات إليها، وفي القصيدة وجهت القارئ إلى الوحدة المعجمية الرئيسة التي يركز عليها السياب وهي القبر وحفاره وما يحيط بهما، وهو ما ساهم من جهة أخرى في ترابطها وتماسكها وقد منح الاسم الجامع النص استمرارا واطرادا واضحا.

و في موضع آخر يصيف الشاعر:

يلقيه حفار القبور

كفان جامدتان أبرد من جباه الخاملين وكأن جولهما هواء كان في بعض اللحود

في مقلة جوفاء خاوية يهوم في ركود كفان قاسيتان جائعتان كالذئب السجين

مستوحد بين الصخور الصم من أنقاض دار

عند المساء ومقلتان تحدقان بلا بريق

فالوحدات المعجمية :(كفان جامدتان / قاسيتان / جائعتان، مقلة جوفاء خاوية، مستوحد بين الصخور) كلها تدخل ضمن اسم جامع يحويها هو حفار القبور وهو البؤرة الدلالية التي تدور المدونة الشعرية حولها، فهذه المفردات جزء منها يمثل أعضاءه (كفان، مقلتان) وجزء آخر يعد توصيفا لها (جامدتان / قاسيتان / جائعتان – جوفاء / خاوية) وجزء ثالث يمثل وصفا لهذا الحفار (مستوحد بين الصخور)، وبالتالي فلجوء السياب لاستخدام الكلمة الشاملة وما انضوى تحتها من عناصر مرتبطة بالقضية المركزية؛ رسخ في ذهن المتلقي ما أراد الشاعر الإيماء إليه، (توصيف ملامح حفار القبور وقسوة عمله والبؤس الشديد الذي يحياه) وهكذا فتدفق هذه المفردات المتشابكة دلاليا قد حقق الاستمرارية الدلالية في النص، وأدى إلى تعلق بعضه ببعض"[26]

و من الأسماء الجامعة الواردة في المدونة الشعرية اسم " الحروب" الذي تنضوي تحته كلمات تشير أو تحيل عليه منها : (القاصفات، الدمار، معاصر الدم، أرامل أو عذارى غاب عنهن الرجال) وهذا في قول السياب :

نبئت أن القاصفات هناك ما تركت مكانا إلا وحل به الدمار فأي سوق للقبور

حتى كأن الأرض من ذهب يضاحك حافريها حتى كأن معاصر الدم دافقات بالخمور

أواه لو أني هناك أسد باللحم النثير جوع القبور وجوع نفسي في بلاد ليس فيها
إلا أرامل أو عذارى غاب عنهن الرجال وافتضهن الفاتحون إلى الدماء كما يقال
مازلت أسمع بالحروب فما لأعين موقديها لا تستقر على قرانا ليت عيني تلتقيها

الصلة بين الشامل والمشمول واضحة جلية، فكل وحدة معجمية من هذه الموحدات جزء من الحروب، وكل عنصر من هذه العناصر بمثابة الإعادة غير المباشرة للكلمة الأم " الكلمة الشاملة المنضوية تحتها، وقد انعكس هذا اللون من التكرار على الشكل الخارجي للنص، فتداول الكلمة العامة، وفئاتها داخل المدونة الشعرية أدى إلى الاتساق السطحي الظاهري بين الفقرات المكونة للنص . أما من جهة الدلالة فقد أدى هذا النوع إلى خلق شبكة دلالية ضمن سياق معين هو سياق الحرب والموت والهلاك، فلا يصح إغفال السياق الذي وردت فيه الكلمة الشاملة، والكلمات المنضوية تحتها. " [27]

خاتمة :

- لقد توصل البحث إلى أن قصيدة "حفار القبور" قد استوعبت كافة أشكال التكرار الدلالي بنوعيه المعجمي والمضموني تقريبا، كما أن التكرار الدلالي لم يرد عفويا داخل النص وإنما جاء ضمن قصدية محددة عمدت إلى توظيفه داخل بنية النص مما أدى إلى اتساق المدونة الشعرية ومنعها من التفكك، وقد كان حضوره قويا مما أسهم في ترابط الوحدات فيما بينها، سواء أكانت متجاورة أو متباعدة، علاوة على ربط أجزاء القصيدة المختلفة.
- لاحظنا في كل ما تقدم أن تكرار المفردات سواء أكان هذا التكرار بإعادة اللفظة أم بالمرادف أم بما يشبه المرادف، أدى إلى خلق نوع من الإحالة بين الكلمة والكلمة المكررة مع اختلاف إحالة كل منهما.كما ساعد في الكشف عن بؤرة النص وقضايا الرئيسة، أو ما يعرف بمفتاح النص .

هوامش:

[1] فتحي رزق الخوالدة : تحليل الخطاب الشعري– ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكبا –، ط 1، دار أزمنة للنشر والتوزيع، (عمان)، ط1، 2006 ص 92

[2] ابن منظور (أبو الفضل، محمد بن مكرم بن عليّ جمال الدين) : لسان العرب، دار صادر، (بيروت)، مادة (ك ر ر)، ج5، ص135.

[3]– ابن دريد(أبو بكر محمد بن الحسن) :جمهرة اللغة، ج1، ص87

[4] ابن الأثير(عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، (الرياض)، ط2، 1983، ج3 ص 07

[5]الرضي (رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي): شرح الكافية لابن الحاجب، تح: يوسف حسن عمر، ط3، منشورات جامعة قار يونس، (بنغازي)، ج1978،1 ص49.

[6]ينظر ابن جني: (أبو الفتح عثمان) الخصائص، ج 3، دار الهدى للطباعة،بيروت، ط2 1952 ص 104-101

[7]ينظر: ابن رشيق (أبو علي الحسن): العمد في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد قران، دار المعرفة، (بيروت)، ط1،1988، ج1ص 566

[8]– الجاحظ (عمرو بن بحر): رسائل الجاحظ، ج3، تح: عبد السلام محمد هارون،دار الجيل،(بيروت)،ط 1، 1991 ص 121.

[9]– محمد خطابي : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، (بيروت)/ (الدار البيضاء)، ط1، 1991ص 24 .

[10]ينظر: دي بوجراند : النص والخطاب والاجراء، النص والخطاب والإجراء، تر:تمام حسان، عالم الكتب،(القاهرة)، ط1، 1998ص 300

[11]ينظر :المرجع نفسه ص 299.

[12]الأزهر الزناد : نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، (بيروت)، ط1، 1993 ص 119.

[13]دي بوغراند : النص والخطاب والإجراء ص305، وفي هذا الإطار يشترط صلاح فضل لقيام التكرار بوظيفة التماسك والاتساق أن يكون لهذا الملمح المكرر نسبة ورود عالية في النص تجعله يتمز عن نظائره ...و أن يساعدنا رصده على فك شفرة النص وإدراك أدائه لدلالته" ينظرصلاح فضل : ظواهر أسلوبية في شعر شوقي، مجلة فصول، الهيأة العامة للكتاب، (القاهرة)، مج1، ع 4، 1984ص 210

[14]محمد خطابي : لسانيات النص، ص 179

[15]صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج2، دار قباء للنشر، (مصر)، ط1، 2000 ص 20.

[16]ينظر روبرت دي بوجراند : النص والخطاب والإجراء ص 303

[17]اعتمدت في هذه الدراسة على قصيدة حفار القبور الموجودة في ديوان: السياب، بدر شاكر، ديوان بدر شاكر السياب،مج 2، دار العودة، (بيروت)، 2016، ص 169-183

[18]ينظر: محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،(القاهرة)، ط2، 2014 ص230-254 وينظر : جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر)، 1998 ص 79 – 83

[19]محمد خطابي: لسانيات النص ص 25، ويشير فولفجانج وديتر في هذا الصدد " إلى أن دلالة النصوص تنشأ في إطار هذا النموذج من اتفاق ملامح / سمات / دلالية معينة للوحدات المعجمية الواردة في نص ما " ينظر :فولفجانج هاينه مان وديتر فيهفجر : مدخل إلى علم لغة النص – تر :سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، (مصر، ط1، 2004 ص 33

[20]عبد الفتاح عثمان:دراسات في النقد الحديث،الشعر، الرواية، القصة القصيرة، مكتبة الشباب، (القاهرة)، 1991 ص 66

[21]ينظر : فوزية خالد صبح المسلط: السرد في مطولات بدر شاكر السياب، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، (الأردن)، 2016 ص 76 .

[22]محمد سعدون : الشعرية في ديوان السياب، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، (الجزائر)، 2009-2010 ص 184

[23]ينظر : نوال إبراهيم الحلو: أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د .خالد المنيف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، (السعودية)، ع8، رجب 1433، ماي 2012 ص 47

[24]ينظر : فوزية خالد صبح المسلط: السرد في مطولات بدر شاكر السياب ص61

[25] عزة شبل: علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، (القاهرة)، ط 2، 2009 ص 108

[26] ينظر :خالد المنيف ونوال إبراهيم الحلو : أثر التكرار في التماسك النصي ص 55

[27] ينظر: أحمد مختار :علم الدلالة، عالم الكتب، (القاهرة)، ط6، 2006 ص 79